البنات. لا لن أحكي. توقف ليقطع الميدان إلى شارع قصر النيل. ما الذي يُحكى؟ الطبل والزمر والفرح ويداي تسلمان ابنتي إلى رجل غريب وأعود إلى بيتي لا أعرف أين أضع جسمي ولا روحي.

انعطف يسارا باتجاه شارع ٢٦ يوليو. تغطي ابنتك باسما ثم تأوي إلى فراشك لتجد عيني ذلك القط القابع قريبا منك، وميضا لا تحتمله يلتمع في الظلام، خائف؟ مجرد إرهاق، ولكن الرجفة تسري في بدنك كأنك مريض بالبرد. لا أحد يموت بالبرد! ستقبل الولد، ستحب الولد، ستفسح حيِّزا لثلاثة رجال هبطوا عليك تباعا بمظلاتهم، سُنَّة الحياة!

انتبه إلى أنه يقف أمام محلات شيكوريل: لابد أن أكتب عن شيكوريل.

حتى نهاية الخمسينيات كان المحل هو الأكبر في وسط البلد، كأنك في باريس. أحدث الأزياء، وصوت الفتيات يقبلن عليك لخدمتك: «وي مسيو، وي مدام»، «أو رفوار مسيو، أو رفوار مدام». لم أر المحل ساعة أضرمت النار فيه يوم الحريق، كنت في عابدين، أهتف بسقوط الملك. بعد الحريق جددوا المحل وظل متجرا من المتاجر الكبري في القاهرة. سمعت حكاية سلومون شيكوريل من والدي، ثم قرأت عنها مؤخرا في جريدة ما. مات سولومون قتيلا في قصره عام ١٩٢٧. طعنه شاب صغير يعمل في خدمته ثماني طعنات أودت بحياته، وشيع جثمانه في جنازة كبيرة قطعت به الطريق من الجيزة إلى البساتين. أغلقت معظم المحلات الكبيرة في وسط البلد حدادا يوم الجنازة. ليس هذا ما أريد تسجيله. ما المثير في حكاية رجل ثري يسكن قصرا ثم يطعنه رجل فقير من نفس الطائفة أو من طائفة أخرى؟ صاحب القصر قال تعال يا ولد. جاء الولد، وعمل في خدمة الغني. ثم قال الغني للفقير: رُح يا ولد، أنت لا تصلح لخدمتي. طعن الولد صاحب القصر، وظل يطعن فيه حتي مات. حكاية تتكرر كل يوم بشكل أو آخر، فعلا أو مجازا، لأن الغني ظالم والفقير مظلوم، أو لأن الولد مجرم أو مهمل أو يفتقد الكفاءة المطلوبة، والغني